5

الحملة الدائمة

بدأ التخطيط لمرحلة بوش الانتقالية بهدوء ومن دون ضجة قبل أكثر من سنة ونصف على موعد الانتخابات العامة. وقاد هذه المرحلة صديق عمر الرئيس الموثوق كلاي جونسون الـذي ساعدته خبرته في مجـال إدارة الأعمال جداً في القيام بهـذا الدور (تبوأ مناصب تنفيذيـة في شركات بـدءاً من شركة نيمان ماركوس وانتهاء بشركة فريتو لي). فقد شغل منصـب المدير التنفيذي للحاكم (وهذا المنصب يـوازي منصب رئيس الأركان) بعد أن انتقـل جو ألبو للعمل في إدارة الجهود المبذولة من أجل الانتخابات الرئاسية؛ وقبل ذلك، كان يشغل منصب مدير التعيينات خلال الفترة الأكبر من ولاية بوش كحاكم، مشرفاً على نحـو ثلاثة آلاف من التعيينات للمجالـس والمندوبين التي يقوم بها الحاكم. كان جونسون بارعـاً في القيام بتخطيط المرحلـة الانتقالية، وكان غير معروف بالنسبة لوسائل الإعلام ولعامة الناس، وكان له مساره الخاص البعيد عن مسار الحملة الانتخابية.

تبـين أن القـرار بشأن البدء بعملية التخطيط للمرحلـة الانتقالية في فترة مبكرة كان مفيـداً جـداً، خصوصـاً إذا أخذنا بعين الاعتبار الفـترة الانتخابية المـددة. ونظراً إلى أن التخطيـط الـذي قدّمه كلاي كان تفصيليـاً فقد استطاع بوش وفريقـه أن يقفوا على أرض صلبة، وينطلقوا إلى الفـوز بالرئاسة في وقت مبكر. (عمـل كلاي فيما بعد مديراً لموظفـي البيت الأبيض، ويشغل حالياً منصب نائب المدير لشؤون الإدارة في مكتب الإدارة والموازنة).

كان لأحد ملامح السياسة المعاصرة تأثير عميق على المرحلة الانتقالية، ربما من دون قصـدٍ أو وعيٍ من كلاي جونسـون كونه لم يكن له باعٌ في السياسية، ولم تكن له أي خلفية سياسية. أشير هنا إلى «الحملة الدائمة»، وهذه عبارة مختصرة تشير إلى الطريقة التي يعمل بها القادة السياسيون في هذه الأيام على امتداد 365 يوم في السنة، وسنة إثر أخرى

وذلـك بغية وضع إطار للدعـم الشعبي والسيطرة على مصادر هذا الدعم كوسيلة رئيسة للبقـاء في الحكـم. وبسبب القـوة التي تمثلها الحملـة الدائمة وحضورهـا الطاغي، فإن التنافـس علـى السلطة خلال سباق سنة 2000 لم ينتهِ بحفـل التنصيب، بل ولج ببساطة إلى حقبة جديدة - الحكومة.

لا أعتقـد أن أيـاً من كبـار مستشاري بوش قـام بتكريس جزء من وقتـه أثناء المرحلة الانتقاليـة لقراءة واستيعاب الدروس التي يتضمنها كتاب 'الحملة الدائمة ومستقبلها'. أعلم أنني لم أقرأ ذلك الكتاب حينها. لكنهم لو قرؤوا هذا الكتاب، ربما كانوا اتخذوا على ضوء تلك القراءة خطوات تخفف من تأثير الحملة الدائمة، وتمنع حدوث بعض المشكلات التـي عصفت ببوش في لحظات حاسمة من فـترة رئاسته. بدلاً من ذلك، فقد استوطنت الحملـة الدائمة في البيت الأبيـض في عهد بوش منذ البداية، وكانت على درجة من القوة بحيث أنها ضمنت لعب دور رئيس في الإدارة.

صـدر كتاب «الحملة الدائمـة» في حزيران، يونيو سنة 2000، وقام بتحريره اثنان من الباحثين اللذين يحظيان بكثير من الاحترام، ويعملان في اثنين من مراكز التفكير النافذة في واشنطـن؛ وهذان المحرران هما نورمان أورنستايـن من معهد (إنتربرايز) ذي الميول المحافظـة، وتوماس مان من معهد بروكينغـز ذي الميول الليبرالية. يهدف هذا الكتاب في بعض أجزائه إلى المساعدة في إرشاد الرؤساء المنتخبـين المستقبليين وفرق عملهم أثناء التخطيط لاستلام السلطة في الفترة الانتقالية. هذا الكتاب يوضح من وجهة نظري أهم الظواهر الموجودة في واشنطن اليوم.

عندمـا تمـت صياغة عبـارة «الحملة الدائمـة» للمـرة الأولى (ربما كان بـات كادال أول مـن استعملهـا سنة 1976، وكان أحـد مساعدي كارتر) كما تشـرح مقدمة الكتاب، فإنهـا كانت تشـير إلى عملية ممارسة الحكم بطريقة تبني فيهـا الدعم الشعبي للإدارة وسياساتهـا، وتحافظ عليه. بهذا المعنى، تتحول الحمـلات السياسية الدائمة إلى وسيلة تستطيـع بواسطتهـا أي إدارة ممارسة تأثير دائم على الأمـة، طالما أن السياسات التي لا يفهمها الشعب أو يدعمها لا يمكن أن تستمر على المدى الطويل، أو يكون لها أي تأثير.

لكن المعنى الذي ترمي إليه عبارة «الحملة الدائمة»، والمبالغة في الطريقة التي تمارس فيها قد انحرفا إلى وجهةٍ مزعجة. فكما يشرح البروفسور هيو هيكلو المتخصص في الشأن الحكومي، في الفصل الأول من كتاب أورنستاين ومان فإن الحملة الدائمة كما تمارس اليوم هي «عملية مستمرة تهدف إلى السيطرة على مصادر الدعم الشعبي بحيث تشركه في عملية الحكم نفسها». بعبارة أخرى، لم يعد بالإمكان الآن التفريق بين شن الحملات وممارسة الحكم. إن الهدف من كتاب أورنستاين ومان، كما يلاحظ هيكلو، هو «شرح معنى الحملة الدائمة، واستيعاب كيف نشأت ولماذا، وتقويم نتائج قدرتنا على حكم أنفسنا بطريقة فاعلة، ولدراسة احتمال اتخاذ خطوات تهدف إلى التخفيف من آثارها الضارة».

إن فهم تأثير الحملة الدائمة على الحكم سواء في البيت الأبيض أو الكونغرس ضروري لاستيعاب كيف ضلت واشنطن طريقها، وكيف وقعت في شَرَكِ المشاحنات والحروب الحزبية الدائمة؛ وكيف، على وجه الخصوص، شردت إدارة جورج دبليو بوش بعيداً، وبقيت بعيدة جداً عن الدرب التي كان من المتوقع أن تسير عليها وذلك عبر المبالغة في استعمال أسلوب الحملة الدائمة وتكتيكاتها.

الحملة الدائمة هي مفهوم كان يمكن أن يثير حيرة وارتباك مؤسسي أمتنا. يلاحظ هيكلو أنهم عندما أسسوا نظامنا المبني على الديمقراطية التمثيلية كما هو منصوص عليه في دستورنا، فإنهم كانوا يتصورون نظاماً مثالياً للحكم يكون فيه المُشَرّعون الحياديون والمسؤولون التنفيذيون الذين يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء قادرين على وضع سياسة متحررة من ضغوط مجموعات المصالح والولاءات الحزبية. كما افترضوا أن أعضاء الكونغرس يجب أن يكونوا مواطنين بعقلية رجال الدولة بحيث يخدمون بلادهم لعدة أشهر في السنة، ويقومون بالاهتمام بمزارعهم، أو أعمالهم، أو مهنهم بقية فترة السنة. كانوا يرون الأحزاب ضارة، وكانوا يأملون في أن لا تصبح الأحزاب مظهراً من مظاهر النظام الأمريكي (كلمة «حزب» ليس لها وجود في الدستور الأمريكي). كما تعمدوا التركيز على أن لا يتم اختيار أعضاء مجلس الشيوخ والرؤساء بواسطة الصوت الشعبي،

بـل بواسطـة نخبة من المشرعين في كل ولايـة بالإضافة إلى الهيئـة الانتخابية. ولو حدث أن أدى ذلـك إلى عزلهـم عن الرأي العـام، فسيكون هذا أفضل. اعتـبرت لغة الخطاب السائـدة في القرن الثامن عشـر في مجملها أن الناس هم «الغوغـاء»، أي أنهم مجموعة من الأفراد المحدودي المعـارف، والعاطفيين، والمهتمين بمصالحهم الخاصة؛ ومن ثمَّ، لا يمكـن الوثوق بقدراتهم على تقرير شؤون قضايا الدولـة العليا. وكان لفكرة إدارة أعمال الحكومة بطريقة تخدم المصالح الشخصية لهذه المجموعة من الغوغاء أن تثير الهلع لدى رجال مثل واشنطن، وجيفرسون، وماديسون، ومونرو، وآدامز.

أما في عصرنا الحالي بالطبع، فقد تغيرت اللعبة السياسية بشكل دراماتيكي. فالشعب أصبح منخرطاً بشكل أعمقَ، وأكثر مباشَرَةٍ في الشأن الحكومي من أي وقت مضى. ويعد هذا أمـراً جيداً في كثير من النواحي. الحكومة أضحت بالتأكيد أكثر استجابة لحاجات الشعـب مما كانت عليه في القرن الثامن عشر. لكن بعض الأساليب التي يفترض بأنها تعكـس رغبات «الشعب» في العمـل الحكومي (بغض النظر عن وضوحها) هي ملتبسة في أفضـل الأحوال. كلنا على علم بوجـود الكثير من المشكلات. تمارس مجموعات المصالح الحزبيـة الضيقة ومجموعات المصالح الخاصة الأخرى الضغط على الكونغرس لإصدار تشريعـات تصب في صالـح أعضائها، وليس في صالح المواطنين بشـكل عام. تستخدم استطلاعـات الـرأي ليس فقط من أجل قـراءة المزاج العـام للناخبـين وتوجيه القادة السياسيـين نحو الطريـق التي تؤدي إلى إيصال رسائلهم، بـل أيضاً، في بعض الأحيان، مـن أجل تقرير السياسات التي سـوف يتبنونها. فالجمع الدائـم للتبرعات الذي يعتبر ضرورة في عصر يلعب فيه الإعلان التلفزيوني الباهظ التكاليف، والأشكال الأخرى من وسائـل الاتصال المكلفة دوراً مهماً في النجاح السياسـي، يوحد بين مجموعات المصالح القويـة والمتبرعين الأثرياء من جهة، وبين الأحزاب والسياسيين من جهة أخرى بطريقة غالباً ما تترك احتياجات المواطن الأمريكي العادي في العراء.

تركـز عملية الحكم بموجب هذا النظام الجديـد بشكل رئيس على «التحكم بمصادر الدعـم الشعبي»، كما كتب هيكلو؛ وذلك عن طريق استخـدام وسائل الإعلام الإخبارية،

والمنابـر السياسية، والمواقـع الإلكترونية الشهيرة، والإعلانات المدفوعـة الأجر، وبرامج الإذاعـة الحوارية، والمنظمات المحلية، والدعاية التـي تبثها مجموعات المصالح لاختلاق قصص تصـب في مصلحـة الشخـص ذي الصلـة. تتحـول ممارسة الحكـم في عصر الحمـلات الدائمـة إلى نتاج للحملات بدلاً مـن أن يكون الأمر عكـس ذلك. فمشروعات القوانين تكتب أحياناً ليس لتسويغ إنشاء نقاط للحديث تعزز من موقع الحزب الذي ينتمي إليـه ذلك الشخص فقـط، بل أيضاً لإرباك المعارضة بغية تحسـين العمليات الحكومية، أو لتحقيـق العدالة. المبادرات الرئاسيـة بدءاً ببرامج الرعاية الصحيـة وانتهاءً بالقيام بغـزوات خارجيـة يتم التخطيط لهـا، وتسميتهـا، وتوقيتها، والقيام بهـا في الوقت الذي تكون العين (وربما العينان) مركزة على موعد الانتخابات. كما يتم إقرار الميزانيات ليس فقـط من أجل توفير الحاجات الملحة للمواطنـين ووضعها في مقدمة الاهتمامات، بل من أجـل مكافأة الموالين السياسيين، ومعاقبة الخصوم، والفوز بأصوات الناخبين في المناطق والولايات الساخنة انتخابياً عندما يقترب شهر تشرين الثاني، نوفمبر.

إن اختراق السياسة للحكومة كان أحد مظاهر الديمقراطية منذ البداية. ولكن منذ النصـف الثاني من القرن العشريـن، أصبحت أكثر شهرة وأكثر انتشـاراً. كانت إدارة ريتشارد نيكسون - وهو أول رئيس بدأ بمأسسة العمليات السياسية الدائمة داخل البيت الأبيض - نموذجاً للعديد من السقطات التي نتجت عن الحملات الدائمة بقائمتها التي تحـوي أسماء الخصـوم، وسوء استخدامها للأموال العامـة (IRS)، ولوزارة العدل من أجل غايات سياسية، بالإضافة إلى الحيل القذرة المرتبطة بفضيحة ووترغيت التي أدت في النهاية إلى انهيار تلك الإدارة.

يمكـن للمبالغة في الارتهان لعقلية الحملات الدائمة أن يعرض الإدارة إلى نوع من الشلـل. فقـد أدت إلى انهيار إدارة نيكسون، وكادت تودي بـإدارة كلينتون إلى التهلكة بالرغـم مـن - أو ربمـا بسبـب - أن المراسل الإعلامـي لصحيفة واشنطـن بوست، هـوارد كورتز أجرى اتصالات مع «أبواق السلطة (spin doctors)، ومع الآلة الدعائية المُضَمّخـة بالزيت». وكما سأبين لاحقاً في هذا الكتـاب، فقد تسببت بأذى كبير للبيت

الأبيض في عهد بوش الذي اعتنق فكرة الحملات الدائمة وقام بمأسستها أكثر بكثير من أي عهد سبقه.

القوة الثانية التي تشكل البيئة السياسية هذه الأيام تكمن في ثقافة الفضائح التي لا تتوقف أبداً؛ وهي الثقافة التي ولدت من رحم الحملات الدائمة التي كانت جذورها تضرب في عمق أرض واشنطن. هذا الإرث هو امتداد لرئاسة نيكسون كما وصفه بوب ودوورد الذي كان أحد الصحفيين الشباب المتصفين بالعناد، وهو من كشف محاولات التضليل التي قام بها البيت الأبيض في عهد نيكسون. قدم ودوورد عرضاً موثقاً لتأثير ثقافة الفضائح على الرؤساء الذين أعقبوا نيكسون بدءاً بجيرالد فورد وانتهاء بكلينتون في كتابه المعنون: «الظل: Shadow».

وكما يشرح ودوورد، فقد أدت فضيحة ووترغيت إلى خلق حالٍ عميقة من عدم الثقة في البيت الأبيض، وإلى رأيٍ شديد التهكم حول السياسة برمتها. طرحت جملة من الأسئلة المباشرة على بساط البحث. هل من الممكن أن يتورط رئيس آخر في قضية جنائية؟ هل يقوم كل رئيس بالتخطيط بشكل سري خلف الأبواب المغلقة كما فعل نيكسون؟ برزت إلى الوجود صناعة مبنية على الفضائح بما في ذلك عمل محققي الكونغرس الجريئين، وصحفيي التحقيقات، والمدعين العامين من ذوي العزم، والمحققين الأخلاقيين. يقول ودوورد: «إن ممارسة الخداع والعرقلة التي يمارسها الرؤساء لا يمكن أن يتم غض الطرف عنها بعد الآن». إلا أن سلسلة التحقيقات التي لا تنتهي، لم تضع حداً للخداع في واشنطن، بل حولتها إلى شكل آخر من أشكال لعبة حرب متعمدة لها أدواتها على جانبيِّ خط التماس بين الحزبين، وداخل الحكومة وخارجها.

يشير ودوورد إلى أنه من المثير للدهشة أن أحداً من الذين تعاقبوا على خلافة نيكسون لم يستطع «أن يستوعب بشكل كامل عمق عدم الثقة» الذي خلفه نيكسون وراءه. تم التغاضي عن تنامي الكثير من الجدل ذي المغزى، وغير ذي المغزى في هذه البيئة من الاستفسارات التي تناقص فيها حجم الثقة بدرجة كبيرة، والتي تحول بعضها إلى فضائح سيئة السمعة، ولازمَ المشهد لزمن طويل. كانت هناك فضيحة حجب كافة تفاصيل

الصفقــة التــي اعتُقِدَ أن فورد رفضهــا من أجل منح نيكسون العفــو؛ وهنــاك أيضاً اللغط الذي دار حول بيرت لانس في عهد كارتر، وفضيحة إيران – كونترا ، ورفض ترشيح روبرت بــورك في عهد ريغان، وتــورط بوش الأب في فضيحة إيران– كونــترا (داخل الأنشوطة أو خارجهــا)، وسلسلة الفضائح الأقل أهمية بدءاً من فضيحة باسبورت غيت وترشيح جون تــاور، وانتهاء بالتورط المزعوم لابــن بوش، نيل، في فضيحة قروض المدخرات. وأخيراً، هنــاك السلسلة التي لا نهاية لها من اللغــط والفضائح التي حاصرت كلينتون بدءاً بوايت ووتر وانتهاء بلوينسكي.

ويختم ودوورد بالقول إن كل واحد من بين هؤلاء الرؤساء أخفق في استيعاب اثنين من الدروس الأساسية التي يمكن استخلاصها من فضيحة ووترغيت:

أولاً، إذا كانــت هنالك أنشطة مشبوهة، قم بإعلان الحقائق مهما كان نوعها، في أول مناسبــة، وبشكل كامــل. ثانياً، لا تدعْ مجالاً للتحقيقات التي يمكن أن تفرض من أي جهة خارجية، والتي يمكن أن يديرها مدعون عامّون، أو رجال كونغرس أو صحفيون أن تتحول إلى حال دائمة وصلبة من الشكوك والحروب.

وبمــا أن أحداً لم يعرْ أياً من هذين الدرســين اهتماماً، وبما أن الفضائح المثيرة لكثير مــن اللغــط جرفت في طريقها حياة العديــد من ضحاياها، كان لا بــد للشكوك المتزايدة والمعــارك الحزبية التي نجمت عن ذلك من تقزيم موقــع الرئاسة إلى درجة معينة. فقد صــب الرؤساء الزيت على نــار هذا اللغط بسبب اختيارهم عدم الوقوف في وجهها بشكل مباشــر وواضــح؛ وهم بذلك زادوا مــن سعير دائرة الانتقام والعقوبــات، في الوقت الذي سعــى قــادة الكونغرس من الحزبــين إلى جر الــرأي العام إلى موقع يخــدم مصالحهم. وكانت النتيجة ولادة ثقافة مدمرة قوامها سلسلة لا تنتهي من الفضائح.

تقــودني تجربتي وانخراطي في العمل السياســي إلى الاستنتاج بأن الرؤساء والدوائر الصغرى المرتبطة بهم تعلموا في واقع الأمر بعضاً من الدروس الخاطئة. فقد تبنوا مقاربة تهكميــة في تعاملهم مع ثقافة الفضائح. فقد أدى بهم الخوف من الإحراج السياسي على المدى القصير بشــكل لا إرادي إلى محاولة وضع اليد على الحقيقــة وإخفائها وتزييفها.

ارتـأى كبار مستشاري الرؤساء أن وظيفتهم تتمثل في حماية الرئيس، وجعل هذا الموضوع فوق أي اعتبار. ولذا، فقد قاموا ببناء جدار من الحماية حول المكتب البيضاوي، وتأكدوا من أن الرئيس معزول بما يكفي، ويفضل أن يكون غير مدرك للجانب الآخر، الأكثر مدعاة للنفـور في عـالم السياسة. وعندما يثور اللغـط، فإنهم يقنعون الرئيـس باتخاذ تكتيكات دفاعية. لكن لا بد لهذا الأسلوب أن يؤدي إلى وضع سمعة الرئيس على محك التحقيقات، ويسمـح لآلة الفضائـح أن تفرض الشـروط التي تحدد بموجبها مدة هـذا اللغط ومداه. وهكـذا، فـإن السؤال المركـزي يصبح على الشـكل الآتي: «ما الـذي كان الرئيس يعرفه، ومتى عرفه؟» لكن من المثير للسخرية أنهم بينما يحاولون حماية أنفسهم، يسبب الرؤساء الأذية لشرفهم وكرامتهم، وغالباً ما يضعون موقعهم الرئاسي في دائرة الخطر. الجواب علـى كل ما تقـدم، وكما سأبـين لاحقاً في هذا الكتـاب، يكمن في قيـادة رئاسية مسؤولة ومبدئية.

العنصـر الجوهـري الثالث في بيئة واشنطـن الحزبية المشبعة بالمـرارة، الذي يشكل جـزءاً لا يتجزأ من عملية الإفراط في ممارسة الحملة الدائمة، وثقافة الفضائح العميقة الجذور والذي يتجلى في الأسلوب الذي لا يعرف الرأفة، والمتمثل بشعار الفوز بأي ثمن، هو مـا يوجه العديد من السياسيين ومستشاريهـم في ممارسة الحكم بطريقة يضمنون فيها الدعم الشعبي ويسخرونه لخدمة مصالحهم - وهو ما يدعى بفلسفة السياسة كحرب.

كان لا بد لظهور الحملات الدائمة وثقافة الفضائح أن يؤدي إلى استفحال العداوة بين الحزبين. السبب الذي حدا بها للتحول إلى حروب أيديولوجية شاملة في عقد التسعينيات كان جملـة من المفاصـل التاريخية. حتى قبل فضيحة ووترغيـت، كما حللها بشكل مقنع، لاني ديفيس، المستشار الخاص السابق للرئيس كلينتون، فقد ساعدت ثقافة الحروب التي وقعت في عقد الستينات في إطلاق هذا النوع من الثقافة.

في كتابـه الموسـوم «الفضيحة: Scandal»، يتحـدث ديفيس عـن المؤمنين الحقيقيين «باليمـين الجديد»، والذين بدؤوا يسيطرون على الحزب الجمهوري على المستوى الوطني في سنـة 1964. وكانـوا يـرون الليبراليين «أعـداءً ثقافيين خانوا القيـم الأمريكية، ومن ثـم يجب القضـاء عليهم». شهدت الحقبـة نفسها ظهور التطهيريـين الأيديولوجيين من

«اليسار الجديد». تبنى هؤلاء سياسات راديكالية، وزرعوا الخوف في الوسط الأمريكي بالكلام الإنشائي عن الثورة، والذي استخدموه للتعبير عن غضبهم بسبب ما كان يجري في فيتنام، والعلاقات العرقية، والثقافة السائدة بشكل عام. لكن طرفي النزاع من «اليمين الجديد» و«اليسار الجديد» ذهبا أبعدَ بكثيرٍ في تسدُّدهما الأيديولوجي من حاملي لوائيّ المعايير المحافظة والليبرالية التقليديين. وكما كتب ديفيس:

كانت النتيجة أنه بحلول نهاية عقد الستينات، ومع نهاية الانتخابات الرئاسية سنة 1972، كان الحزبان تحت خطر أن يتم السيطرة عليهما من قبل التطهيريين العقائديين الأيديولوجيين الذين شخصنوا خلافاتهم السياسية ضمن إطار من الكراهية والنقد اللاذع. تم إنشاء مقبرة خطيرة جديدة في الثقافة السياسية الأمريكية. فبالنسبة لليمين الجديد ولليسار الجديد، لم يعد كافياً أن تهزم خصومك السياسيين وتنتقد سياساتهم، أضحى الآن من الضروري أن تقوم بتدمير المعارضة، وأن تصف سياساتها بالشريرة.

كانت دوامة الهجوم والانتقام المتجذرة في الكم الهائل من اللغط والفضائح البادي للعيان، والذي أعقب فضيحة ووترغيت يمثل أيضاً لحظات مفصلية إضافية، كما يشير ديفيس. لقد كانت عملية تمزيق بيرت لانس إرباً إرباً، وهو مدير الموازنة في عهد كارتر، تمثل جزئياً انتقام الجمهوريين رداً على فضيحة ووترغيت. ومثلت هزيمة المرشح روبرت بورك لمنصب قاضٍ في المحكمة العليا بسبب الهجمات السلبية والتسريبات انتصاراً كبيراً للديمقراطيين. عاد الجمهوريون وهم يصبون جامَّ غضبهم على زمن رئاسة كلينتون. لم تكن هناك أي مؤشرات على توقف مثل هذه المماحكات.

يركز ديفيس الذي ينتمي إلى الحزب الديمقراطي على حادثة بورك التي أطلق عليها وصف الحادثة الرئيسة التي أشعلت أكثر مظاهر ثقافة الفضائح وسياسة «أمسكت بك متلبساً» فظاعةً. لم تكن القضية تتعلق بمسألة ما إذا كانت هناك أسباب وجيهة للوقوف ضد تعيين بورك في أعلى محكمة في بلادنا. أعرب ليبراليون وخبراء في القانون الدستوري عن قلق فلسفي مشروع، وأثاروا أسئلة حول ما إذا كانت مزاجية بورك تؤهله لشغل منصب قاضٍ في المحكمة العليا؛ وكانت في مجملها نقاط وجيهة تستوجب نقاشاً عقلانياً حولها.

لكـن، كما يشـير ديفيس، تجـاوزت التكتيكات التـي استخدمت لاستبعـاده كل الخطوط. فالتضليـل الإعلامـي، والاتهامات المزيفـة، والتسريبات التي تخـدم المصالح الذاتية من أجل مكاسب سياسية - وهي جميعها جزء من الجانب المبتذل من عالم السياسة في يومنا هذا - أدت دوراً كبيراً في خسارة ترشيح بورك. فالليبراليون الذين قادوا الجهود من أجل منع هذا الترشيح، ربما حاولوا تعليل تكتيكاتهم بالقول إنها كانت ضرورية، وأنها ببساطة تمثـل قواعـد اللعبة في واشنطن - عقلية السياسة كحرب. لكـن المحافظين كانوا يتميزون من الغيظ، لن ينسوا الطريقة الماكرة التي أسقط فيها الليبراليون بورك، حتى أنهم نحتوا فعلاً جديداً يرمز مصدره إلى إستراتيجية الهجوم الماكر أسموه «البورَكة Borking».

بالعـودة إلى الماضـي، أعتقد أن انتخابـات الرئاسة سنة 1988 كانـت تشكل منعطفاً مهمـاً. فانـا لا أذكر أن حملة وطدت العزم على إسقـاط مرشح كما حاولت حملة المرشح جورج هيربرت ووكر بوش القيام به. اعتقد مستشاروه الإستراتيجيون أنه، وفي الوقت الذي كان مرشحهـم متخلفاً جداً عن خصمه في استطلاعات الرأي، ليس بالإمكان الفوز عبر إتبـاع مناظرة شريفة حول القضايا الأساسية. قاموا بـدلاً من ذلك بتطوير إستراتيجية محسوبة تتمثل في أن يقوموا بهجوم يركز على المناحي السلبية عند خصمهم، لا علاقة له بتقـديم صورة بنّاءة لمرشحهم، بل بفعل كل ما كان ممكناً لتشويه صورة خصمهم مايكل دوكاكيـس. كانت تلك الحملة، وبالاستنـاد إلى كل المعايير الموضوعية، مليئة بالمغالطات، وتشويـه الصـورة، وكل مـا يمثل الحضيض في السياسة، متهمـة دوكاكيس بكل ما يتخيله المـرء بدءاً من منح إجازات خارج السجـن لمجرمين خطرين، وانتهاءً بكره التعهد بالولاء (الإشـارة هنا إلى أنه كان غير وطني). لقد كانت هذه الحملة كما عبر عنها كل من بيتر وتـوم ماثيـوز غولدمان في كتابهمـا الموسوم «السعي نحو الرئاسـة: The Quest for the Presidency» بمثابـة «تقطيـع أوصالٍ منظم لمايكل دوكاكيس»، مبنـيٍ على «إستراتيجية الأرض المحروقة».

كان بوش الأب يؤمـن بالتأكيد بالمدنية والشـرف. ويشهد سجلـه وسلوكه الشخصي بذلـك؛ وهـو من أشرف وأنبـل من التقيتهم في حياتـي. لكنه أثناء حملـة انتخابات سنة

obeikandi.com

1988، أذعن كلياً لبعض مستشاريه، ومن بينهم روجر إيليس والمرحوم لي أتواتير اللذين كان مصممين على الفوز بأي ثمن (ضمن معايير القانون). أنا واثق من أن الكثير من بين المحافظين اعتبروا ذلك جزءاً من اللعبة، وأنه كان ضرورياً للوصول إلى الخاتمة الصحيحة. لكن الدم الذي سال على الرصيف في نهاية معركة لئيمة في الشارع السياسي، ومن طرف واحد بين بوش ودوكاكيس سال أيضاً في ممرات الكونغرس. كانت دوافع اللغط والفضائح التي أحاطت بالبيت الأبيض في عهد الرئيس الحادي والأربعين تعود جزئياً إلى الرغبة في معاقبته جراء ما سمح به أثناء حملته الانتخابية. فقد تم تبني قواعد جديدة تنظم ممارسة «السياسة كحرب» بين الديمقراطيين والجمهوريين على حد سواء.

بحلول سنة 1992، شعر كلينتون ومستشاروه بأنهم تعلموا الدرس من حملة سنة 1988: قم بالرد على كل هجوم يوجه ضدك، واجهْ محاولات تشويه الصورة والمغالطات حول سجلك بإتباع التكتيكات نفسها ضد الخصم، استخدم قواعد اللعبة التي يستخدمها الخصم نفسها؛ ولكن قم بذلك بشكل أفضل. اشتهرت حملة الآلة الحزبية لكلينتون منذ بداية حملة سنة 1992 بتكتيكاتها التي تنزع نحو الهجومية ودفع الخصم إلى الوراء، وبطريقتها الذكية، وأحياناً غير الذكية في إرهاب الصحفيين، وقدرتها الفائقة على اللف والدوران، وسرعة ردودها على الاتهامات. لقد حوّلَ الفيلم الوثائقي المثير للإعجاب بعنوان «غرفة العمليات الحربية: The War Room» مناصريْ كلينتون وهما جورج ستيفانوبولوس وجيمس كارفيل إلى نجمين إعلاميين، وهو يظهر للعالم كيف أن فريقاً بارعاً ذا عقل بارد يدير حملة انتخابية، يستطيع الإمساك بمفاتيح الأخبار، ويساعد في بلورة آراء ملايين من الناس وتوجيهها حيث يشاء.

أي حزب من الحزبين يتحمل القدر الأكبر من اللوم لنشوء فلسفة «السياسة كحرب»؟ هذا سؤال في غاية الأهمية ويتطلب مساحة كتاب مطولة للإجابة عليه. هناك شيء واحد مؤكد: وهو أن فلسفة السياسة كحرب كانت تتطور بالتدريج على مدى عقود، وأن القادة المنتخبين في كلا الحزبين يتساوون في تحمل المسؤولية.

هنــاك من يضــع المسؤولية الرئيســة على عتبات وسائــل الإعلام. لكننــي لا أتفق مع هــذا الرأي. صحيــح أن وسائل الإعلام لهــا مشكلاتها، وأكثرها لفتــاً للأنظار يكمن في مشاركتها في تأجيج المعارك العقائدية (الأيديولوجية) نظراً لتعطشها الدائم إلى تصيد أشخاص أو قصص تقتات عليها. لكن قادتنــا المنتخبين يملكون مفاتيح أعلى السلطات، ويتحملون من ثم المسؤولية الأكبر عنها، وأظن أن هذا ما يريده ويتوقعه معظم الأمريكيين منهم القيام به. بدلاً من ذلك، اختار أغلبهم السير في طريق ممارسة «السياسة كحرب» المدمرة، وذلك لتحقيق أهدافهم السياسية المباشرة والقصيرة المدى.

في مرحلــة رئاســة كلينتون، والعقليــة التي قادها نيــوت غينغريتشــ، والتي تحكمت بالحــزب الجمهوري، تفاقمــت الحملات الدائمة، وثقافة الفضائــح التي لا نهاية لها في الأفــق، والسياســة كحرب كما لم تتفاقم في أي وقت مضــى. وأفرز كل ذلك حرباً حزبية شاملــة. ليس عليّ سوى القيام بالإشارة إلى بعضــ الأحداث المخجلة في تلك الحقبة كي أذكركم بالأسباب التــي أدت إلى تشويش المواطنين، وشعورهم بالازدراء، ووقف التقدم باتجــاه مواجهــة مشكلاتنا الوطنية، وتمريــغ سمعة واشنطن في الوحــل: فينس فوستر، ووايــت ووتــر، وترافيل غيــت، وفايل غيت، وإعاقــة غينغريتش لأعمــال الحكومة، وباولا جونــز، ومونيكا لوينسكي، و«الكلــب الذي هز ذيله»، والعفو الممنوح لمــارك ريتش. يا لها مــن قائمة من الإرباكات على الصعيد الوطني - بعضها موثق، وبعضها الآخر غير موثق - سبّبَ في تأجيجها عاملان: يتمثل الأول في غياب عنصر الصراحة والصدق من البيت الأبيضــ، ويتمثــل العامل الثــاني في التصميــم ذي المبعث الحزبي على تدمــير الأعداء السياسيين بأي ثمن!

بحلــول انتخابات سنة 2000، أصبحت الحمــلات الدائمة وكل السلبيات المرتبطة بها تمثــل واقعاً راهناً بالنسبة لفريق كلينتــون، والكونغرس، وواشنطن. أصبح البيت الأبيض في عهــد كلينتون يمثل هــذا الأسلوب في الحكم عبر الحملات التــي لا تنتهي، والتي تمت مأسستهــا بطريقــة لم يسبــق لها مثيل. كانــت هي الطريقــة المقبولة للقيــام بالأنشطة. استوعــب أغلــب الأشخاص العاملــين في السلك الحكومي والحملات فكــرة أن الإمساك

بالخيوط السياسية جزء مهم من الأداء الوظيفي - خصوصاً في مناخ تسوده الحرب الحزبية. لم يعيروا إلا النذر اليسير من الاهتمام لتأثيره الإجمالي على السياسة الوطنية باستثناء اعتصار الأيدي بين الحين والآخر تعبيراً عن الشكوى، والتنهدات غير المجدية حنيناً إلى الأيام الخوالي.

تواطأت وسائل الإعلام الوطنية مع هذا التوجه بحيث انقضّت المحطات الإخبارية التي تبث على مدار الساعة على كل فضيحة، وعلى كل صراع، بغض النظر عن أهميته أو عدمها وذلك لملء أوقات البث على الهواء، وتحريك القِدْرِ المليء باللغط لجذب اهتمام المشاهدين. وأصبحت الأخبار السياسية تماثل تغطية الأحداث الرياضية التي تتناول «ألعاب الأسبوع» المسلية، والتحليل الفوري، والتركيز الدائم على الفائزين والخاسرين، وعلى الأبطال وكبوش الفداء. كما لم يلتزم العديد من النقاد بالتحليل الموضوعي للأحداث؛ بل قاموا بتشجيع أحد الطرفين، وأطلقوا أصوات الاستهجان ضد الطرف الآخر.

وعندما اندلعت الحرب الحزبية على هذا النطاق الواسع، كانت النتائج مدمرة جداً مسببة أضراراً لا تُمحَى لخطابنا السياسي الوطني. أضحت الهجمات السلبية الشرسة، وتزييف الحقائق، وحركات اللف والدوران، والشائعات التي لا أساس لها من الصحة، وإطلاق المعلومات المضللة سائدة في أوساطنا. تأصّلت ثقافة عناوين الأخبار، ولسع السياط الكلامية التي تحظى بتغطية واسعة في وسائل إعلامنا في تلك الأرض اليباب. لم يعد يُلقى أي بالٍ يذكر للتوضيحات، كما أن المعلومات التي يتقدم بها الطرف الآخر يضرب بها عرض الحائط، أو لا تحظى بأي اهتمام؛ وتتعرض القضايا المعقدة إلى تبسيط مبتذل في الغالب ضمن سياق الغالب والمغلوب، كما تتصور بمنطق الأبيض مقابل الأسود. ويسود في غالب الأحيان الجانب الذي يدير بفاعلية أحداث القصة، ويتم وضعه في موقع الهجوم - بغض النظر عن وجود فوارق واهية أحياناً، وتجاهل الحقائق الدامغة. فالخداع يلقي بالحقيقة جانباً.

أعتقد أن معظم الذين انخرطوا في تلك الطرق الملتوية من طرفي النزاع الحزبي، بمن فيهم القادة المنتخبون، هم أشخاص طيبون بالأساس، إلا أنهم وقعوا فريسة للطبيعة

المدمـرة للعبة في واشنطن. ولكن بما أن عقلية المناورة أصبحت تمارس على نطاق أوسع، وأضحـت أكثر قبولاً، فـإن ثقافة جديدة بـدأت تتطور كنتيجة للحـرب الحزبية الشاملة – ثقافة الخداع.

صن تزو، هو ضابط صيني قديم عُرِفَ بوثيقته العسكرية الموسومة: «فن الحرب: The Art of War» كتبهـا قبل عدة قرون قبل ولادة السيد المسيح. إنها واحدة من أقدم الكتب التي تتناول الإستراتيجية العسكرية، وأكثرها شهرة في العالم. وكان لها أيضاً تأثير عارم على عمل القيادة والحملات السياسية بسبب الرؤى الإستراتيجية التي تطرحها.

لم أعد أذكر اسم ذلك الإستراتيجي المتخصص في الشؤون السياسية الذي نصحني بقراءة هذا الكتاب منذ عدة سنين، لكن مقطعاً ذا صلة من الكتاب يشير إلى أن «الحروب جميعهـا مبنية على فن الخداع». يتابع هذا الكتاب مناقشة الطرق العديدة التي تستخدم الخداع عند التحضير لخوض المعركة، وهي طرق تشبه مثيلاتها المتبعة عند القيام بحملة انتخابيـة بغية الفوز بمنصـب، أو من أجل ممارسة السلطة عندمـا يتبوأ المرء المنصب. حتـى أن صن تزو يشير إلى أن الإستراتيجيـة العسكرية الفعَّالة تتضمن ليس فقط خداع العـدو، بل أفراد جيش القائد نفسـه أيضاً، بحيث يدفعهم إلى إطاعة الأوامر من دون أن تكون لديهم المعرفة الكاملة بالمقاصد الحقيقية لقائدهم.

تهـدف الحرب حرفياً إلى تدمير الأعداء. ربما كان من المنطقي استخدام الخداع في هـذا السياق، طالما أن إلحاق الأذى بالعلاقـات ليس سوى ثمن بسيط يتعين على المرء أن يدفعـه إذا تحـول الصراع من أجـل البقاء إلى مسألة حياة أو مـوت. في السياسة، هناك أمثلـة محـدودة وغير ذات شـأن يمكن أن يكون الخـداع فيها مقبولا؛ علـى سبيل المثال، عندمـا يزعم أركان إحدى الحملات أن حملتهم أكـثر نشاطاً مما هي عليه في الواقع مع بدايـة العملية، فإنهم بذلك يعطون انطباعاً خادعـاً لأركان الحملة المضادة يدفعهم إلى زيـادة الإنفاق والموارد في وقت مبكر. لكـن ممارسة إستراتيجية الخداع على نطاق واسع يشمل السياسة والحكم، فإنها خطوة مبالغ فيها.

obeikandi.com

لسوء الحظ، أصبحت مقاربة صن تزو المعيار المتبع في عالم السياسة؛ ذلك أن الخداع يعد في هذه الأيام ضرورياً لإلحاق الهزيمة بأركان الحملة المضادة، وللوصول إلى الحكم أيضاً. اخترق هذا الأسلوب الذي يطلق عليه وصف «كل شيء مسموح به» عالم الحملات السياسية، وعَبَرَ بشكلٍ طاغٍ إلى ضفة الحكم، خصوصاً عندما تكون الغنائم كبيرة. أصبحت واشنطن نتيجة لذلك، مرتعاً خصباً للخداع، وحقلاً تُغتالُ فيه الحقيقة.

كونوا على ثقة من أن ممارسة الحكم لا بد لها من أن تحتوي على عناصر عدائية. سوف يكون الناس والمجموعات دوماً على خلاف حول مسألة الاستخدام الصحيح لمصادر الحكم المحدودة. لكن، هل يجب أن تكون الحكومة مطية للحملات الدائمة بهدف السيطرة على الرأي العام بدلاً من أن تركز قدر الإمكان على النقاشات العقلانية، والمداولات، والأخذ بمبدأ الحلول الوسط؟ هل يجب أن تستند إلى مقولة الحرب الشاملة، والخداع، أم تتجذر في مستوى راقٍ من المصارحة، والشفافية، والصدق، والبحث عن الحقيقة؟ لكن الروح الحربية هي في الغالب السائدة في السياسة هذه الأيام.

لعب كلينتون وأركان فريقه اللعبة بحرفية عالية. فقد أظهروا مرونة فيها بعض التهور، ومقدرة على التحمل والتحكم في المعركة السياسية للحصول على الجائزة الكبرى، وأيضاً في الهجمات المعاكسة التي قاموا بشنها. ولكن في النهاية، أدت الأخطاء الفادحة التي ارتكبها بيل كلينتون إلى إضعافه، لكنها لم توجه ضربة قاصمة لرئاسته. لماذا؟

لأن لكلينتون شخصية مغناطيسية، ولأنه يتمتع بكاريزما استثنائية، وبمقدرة نادرة على فرض جاذبيته على العديد من الأمريكيين، ونيل تقديرهم العالي - سواء كان هذا مبنياً على أساس مبدئي أو على البراغماتية السياسية - وذلك لممارسته الحكم باتجاه أقرب إلى الوسط. فقد نجح على جبهة السياسة، في حشد دعم الجمهوريين، وتفعيل سياسات تهم الوسط الأمريكي، بدءاً بنظام الخدمة الاجتماعية وانتهاء بتقليص الدين. لقد استوعب كلينتون أن خطة العمل الناجحة يمكن أن تغطي على الأخطاء الشخصية، والأحقاد الحزبية. عرف فريقه أن أعظم عامل إقناع في الفريق هو كلينتون نفسه، كما

عـرف هـذا الفريق كيف يمارس لعبة الحملات الدائمـة في واشنطن أفضل من أي إدارة سبقتهـا في البيت الأبيض. لكن التزامه المفرط بالقواعد الحديثة الحالية – التي يشاركه فيها الجمهوريون من أتباع غينغريتش – أدى بالأمة إلى دفع ثمنٍ غالٍ.

لسـوء الطالع، تعلمت إدارة بوش القادمة إلى البيـت الأبيض بعض الدروس الخاطئة التـي استخلصتهـا من مراقبـة البيت الأبيض في عهـد كلينتون. ففي الوقـت الذي كانوا يخططـون لقيام النظام الجديد في واشنطـن، لم يفعلوا ما من شأنه إحداث أي تغيير في الواقـع الراهن. وبدلاً من أن ينطلقوا بتفكيرهم خـارج نطاق بوتقة الحملة الدائمة، فقد قبلوا بالقواعد الجديدة للعبة، وركزوا على الكيفية التي سيمارسونها بشكل أفضل، وليس على الكيفية التي يمكن لهم عبرها تغيير تلك اللعبة إلى لعبة أخرى تخدم مصالح الشعب الأمريكي بصورة أفضل.

مـن المثير للسخريـة، أن لغة خطاب حملة بوش كانت قد هدفـت إلى النأي به عن كل التجاوزات التي مارستها حملة كلينتون الدائمة، وأسلوبها في ممارسة الحكم. كان المعنـى الضمني لكلمات بوش يؤكد على أنه سيضع حداً للمناورات السياسية الدائمة، والشـروخ الحزبيـة العميقة التـي تسببت بها. وبالرغـم من أن واشنطـن لم تستطع الحصـول على ما يكفي من الحملة الدائمة، فقـد كان الناخبون على ما يبدو، تواقين للتحرك خارج إطارها.

ركـز بوش خلال حملتـه الانتخابية على هـذه الناحية العاطفية. فهـو سيعمل على «تغيـير النغمة في واشنطـن». وسوف يكون «مُوَحّـداً، لا مُفَرّقاً». سـوف «يعيد الشرف والكرامـة إلى البيت الأبيض». وسوف يمارس الحكم استنـاداً إلى كل ما هو صحيح، وليس إلى ما تخرج به استطلاعات الرأي. باختصار، سوف يبدل الروح التهكمية التي سـادت عقد التسعينـات بعصر جديد من النفحـة الحضارية، والشـرف، والأمل. لن تكون هناك بعد الآن أي حملات دائمة، أو على الأقل سيتم محو تجاوزاتها من الوجود، مرة وإلى الأبد.

لكـن الحقيقــة أثبتت أنها مختلفــة تماماً. فبدلاً من تحقيق ما تقـدم، قام فريق بوش بتقليـد بعض أسوأ سمات عهد كلينتون في البيــت الأبيض؛ ولم يكتفِ بذلك، بل ذهب بها إلى أبعاد أكثر عمقاً.

لم يجـارِ بوش كلينتـون في جبهــة السياسة. على العكس تماماً – كان شعـار الإدارة الجديـدة هـو: «أي شيء إلا كلينتون» عندمـا كان الأمر يتعلق بالسياسـات. تباهت إدارة بوش بأنها كانت تركز على الأفكار، وليس على اللعب بكرات صغيرة مع أفكار قيّمة ولكنها بالأساس ليسـت بذي قيمة تذكر كأفكار سياسية بالنسبــة إلى البيت الأبيض مثل تقديم ألبسة موحدة في المدارس، أو ملاحقة الآباء المنهوكي القوى.

لكـن مظهراً أساسياً من مظاهر رئاسة كلينتون تم تبنيه من قبل جورج بوش وفريقه، تمثل في الانتشار غير المسبوق للحملة الدائمة بكل تكتيكاتها. وبالعودة إلى ما حدث، فإن مـن الواضـح أن البيت الأبيض في عهد بوش قد تمت تهيئته كي يبـاري، بل يتجاوز هذا الأسلوب في الحكم، بالرغم من أنه أراد أن يتم ذلك على طريقته الخاصة.

الدليـل الأكـثر وضوحـاً على قيـام البيت الأبيض في عهـد بوش بتبني مبـدأ الحملة الدائمة يتمثل في العملية السياسية الشاملة التي وضعت موضع التطبيق منذ اليوم الأول. تبـوأ كارل روف مركـزاً ذا تأثير هائل داخل البيت الأبيض منذ بداية العهد. وقد ازدادت قوة هذا المركز بسبب التأثير الذي أضفته عليه شخصية روف القوية، بالإضافة إلى قربه الشديد من الرئيس. كان واحداً من فريق يضم أهم ثلاثة لاعبين – مع كارن هيوز وآندي كارد – بالإضافـة إلى الرئيس نفسه؛ هذا الفريق هو الذي حدد معالم الطريق الذي سار عليه البيت الأبيض في عهد بوش.

تعرفـت علـى كارل للمـرة الأولى سنة 1992 عندما كنت أديـر حملة لمنصب عضو في مجلس الشيوخ في ولاية تكساس؛ قامت هذه الحملة باستئجار خدمات شركته الاستشارية السياسيــة للقيـام بتوجيه الرسائـل. لم أتحدث إليه كثيراً خلال تلـك الفترة؛ فقد كانت لــه انشغالاته الكثـيرة أيضاً مع كثير من العملاء الآخريـن، وكان عمله معنا يقتصر على

مسألة توجيه الرسائل. لكن روف كان يؤسس لنفسه منذ ذلك الحين موقع المرشد الروحي للحزب الجمهوري في ولاية تكساس.

قبل ذلك بسنتين، وتحديداً في سنة 1990، عندما كنت أعمل لصالح المرشح لمنصب حاكم ولاية تكساس الذي خسر الانتخابات حينها بفارق ضئيل، كان اثنان من موكلي روف اللذان كان اسماهما على بطاقة الولاية، وهما كاي بيلي هتشنسون وريك بيري قد فازا في الانتخابات لمنصبيّ أمين الخزانة، والمندوب الزراعي على التوالي، وقد منح هذا الفوز روف بعضاً من شهرته المبكرة كنجم سياسي صاعد في سماء الولاية.

بُعيّد انتهاء الحملة الانتخابية لمجلس شيوخ الولاية التي خسرناها بفارق ضئيل جداً أمام عضو المجلس المتخندق في موقعه، عدت إلى أوستن للتأمل في خطوتي المقبلة. كان لديّ متسع كافٍ من الوقت كي أتطوع لمساعدة حملة هتشنسون الوليدة للوصول إلى مجلس الشيوخ في واشنطن. كانت تلك انتخابات خاصة للحلول مكان لويد بينتسين الذي أصبح وزيراً للخزانة. كانت هتشنسون ستتنافس مع بوب كروغر الذي كان يشغل سابقاً منصب مندوب السكك الحديدية في تكساس، والذي كان الحاكم قد عينه في هذا المنصب إلى أن يتم انتخاب البديل. كانت الحملة القليلة الخبرة تنطلق من مكتب روف في البداية؛ وكنت أساعد عبر إجراء اتصالات أحث فيها الناس على دعم الرحلة التي تزمع هتشنسون القيام بها إلى عشرين بلدة ومدينة في الولاية على امتداد الأيام الأربعة اللاحقة.

عند اقتراب موعد قيام هتشنسون برحلتها، سألني مدير حملتها إذا كان بإمكاني السفر معها في اليوم الأول فقط. في ذلك الحين، كان روف قد أعطى اسمي لبعض المخططين الإستراتيجيين في مجال الاتصالات في واشنطن العاصمة الذين كان يبحثون عن إحدى المواهب التي يمكن أن تساعد أحد موكليهم وهي الرابطة الأمريكية لإصلاح الضرر في الدعاوى القضائية التي أقامتها من أجل جهود الإصلاح في تكساس. لكن فكرة السفر برفقة من قد يصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي بدت لي تجربة جيدة؛ وهكذا، قررت، ووافقت بسرعة.

تحول السفر لمدة يوم واحد إلى سفر استغرق أربعة أيام على متن طائرة صغيرة برفقة هتشنسون وزوجها راي. كانت الرحلة ممتعة جداً، وعرضت عليّ في نهايتها وظيفة في الحملة مدفوعةَ الأجر. ولكن في الوقت نفسه، كانت وظيفة أخرى قد عرضت عليّ للعمل في مجال الدعاوى القضائية من أجل جهود الإصلاح. ولكن بما أنني كنت قد انتهيت للتو من العمل في إحدى الحملات الانتخابية، لم أكن متأكداً من أنني أرغب في الانتقال إلى العمل في سباق تنافسي آخر، لذلك قررت قبول العرض بالعمل في وظيفة إصلاح الدعاوى القضائية. وما كنت لأحصل على هذه الوظيفة لو لم يقم روف بترشيحي لشغلها.

أصبح روف القوة الضاغطة في سياسة ولاية تكساس. وقد اعده الكثيرون من المراقبين السياسيين في الولاية منافساً شديداً يمكن أن يكون أحياناً قاسياً وعديم الرحمة يعمل ضمن نطاق عقلية «لا تأخذ معك أي مساجين».

بقيت على اتصال مع كارل بشكل متقطع على امتداد السنوات اللاحقة. قامت شركته سنة 1994 ببعض الأعمال لصالح عملية انتخاب والدتي لمندوبية السكك الحديدية (التي نظمت صناعة الزيت والغاز في ولاية تكساس)، وهي الحملة الأولى التي قمت بإدارتها على مستوى الولاية. ولكن في تلك السنة، كان جهده منصباً على حملة انتخاب بوش لمنصب حاكم ولاية تكساس. كانت ولاية تكساس حينها تميل باتجاه الحزب الجمهوري، وقد قام روف بهندسة النصر الكاسح الذي حققه الجمهوريون في كل مكاتب الولاية في سنة 1998.

أذكر تلك الليلة الانتخابية جيداً. كانت والدتي تخوض واحدة من أكثر المعارك الانتخابية تقارباً، واعتبر الكثير من النقاد أن احتمال فوزها أمام منافسها ضئيل للغاية. لكننا حققنا المفاجأة، وكانت لنا يدٌ في تحقيق انتصار الجمهوريين الكاسح. كان كل واحد من المرشحين الجمهوريين يقيم حفل انتصاره الخاص في الفندق الذي يقع في وسط مدينة أوستن نفسه. كانت غرفتنا على بعد خطوات من قاعة الاحتفالات التي يقيم فيها أركان حملة بوش حفل انتصارهم.

obeikandi.com

في وقت لاحق من تلك الأمسية، وبينما بدأت معالم فوز والدتي تتضح أيضاً، ظهر روف في الحفلة التي كانت تقيمها. كنت أجلس في منطقة معزولة إلى اليمين من الباب حيث كنا جهزنا طاولات ووضعنا عليها أجهزة الحاسوب لمراقبة نتائج الفرز كما ترد إلينا. قال روف بصوت ملؤه الحيوية: «أود أن أهنئ الشخص الذي يعود إليه الفضل في هذا الانتصار - وها هو!»، قال ذلك وهو يستدير إلى جهة اليمين حيث كنت أقف وأشار إليّ: «ما كان لها أن تحرز هذا الانتصار لولاك. لقد قمتَ بعمل رائع يا صديقي».

كان هذا مديحاً مُسكِراً في نشوته بالنسبة إلى شاب في السادسة والعشرين من عمره. وهاهو أهم مخطط استراتيجي سياسي جمهوري في ولاية تكساس - وصانع الملوك الجديد في سياسة ولاية تكساس - يذهب بعيداً في عبارات الإعلان عن مصداقية موقعي. تصافحنا وتعانقنا، ثم قلت له: «لم أكن أعلم أنني أنا من كنتَ تقصده بكلامك. إن كلماتك تعني الكثير بالنسبة لي. وأنا أقدر لك ذلك جداً».

كان روف يبحث عن استقطاب سياسيين جدد من الشباب مثلي في ولاية تكساس. فإذا كنت تبغي الحصول على وظيفة سياسية في سياسات الحزب الجمهوري، فما عليك سوى التواصل مع روف الذي كان على رأس قائمة من يتوجب عليك أن تقوم بزيارتهم. ولكن بالرغم من جدول أعماله المزدحم، كان من الكرم بحيث أنه لم يبخل بتقديم النصح ومد يد المساعدة.

اعتبر العديد من المساعدين الشباب في ولاية تكساس أنفسهم من أتباع روف ومدرسته السياسية. لم ينتابني مثل هذا الشعور قط. فلطالما اعتبرت نفسي مساعداً أرقب إلى أن أكون مساعداً مستقلاً، غير مرتبط بالضرورة بأي مخطِّطٍ استراتيجي أو معسكر داخل الحزب الجمهوري في ولاية تكساس. لكنني كنت أعرف أن روف هو صانع الملوك في سياسات الحزب الجمهوري في تكساس، ولذا فقد قدرت عالياً دعمه لي، ورحبت بهذا الدعم.

بعد انضمامي إلى فريق بوش سنة 1999، كنت أرى روف بين الحين والآخر في أحد اجتماعات كبار الموظفين في مكتب الحاكم. وبحلول الوقت الذي انضممت فيه إلى الحملة

بعد عدة أشهر، أصبحت أراه غالباً في أروقة المركز الرئيس لحملتنا وسط مدينة أوستن، خصوصاً بعد أن أصبحت في منصب السكرتير الصحفي المتنقل. وعندما لا أكون مسافراً، كنت أحضر اجتماع الرسائل اليومية لمساعدي المرشح الرئيسين التي كان يحضرها أيضاً كارل الذي كان ينضم إلى قافلة الحملة. وقد تعرفت أكثر إلى كارل بعد أن انضممت معه إلى كبار أعضاء أركان البيت الأبيض.

سوف أتذكر دائماً، وبكثير من الود كيف كان كارل يرمي بنكاته المرحة الخفيفة التي تخفف من عناء الحياة المتطلبة التي كانت تستنزفنا داخل البيت الأبيض. كان يمتلك في جانبٍ من شخصيته نوعاً من الحماقة المحببة التي كانت ترفع من معنوياتنا خصوصاً أثناء التوترات التي تصاحب الحملات الانتخابية والمتمثلة في الانتقال من فندق إلى آخر وهو ما كان يجعلنا نشعر وكأننا في «يوم الخنزير الخارج من جحره: Groundhog Day».

مع اقتراب نهاية حملة الانتخابات في سنة 2004، على سبيل المثال، اعتاد كارل أن يرفع من وتيرة الحماس في نفوس زملائه من فريق بوش المسافرين في الحافلات الصغيرة عندما كان يقودنا في إنشاد أغانٍ مشهورة كانت رائجة في مؤتمر الحزب الجمهوري في نيويورك في شهر آب، أغسطس من تلك السنة. كان يبدأ بالصياح: «أربع سنوات أخرى، يا أمريكة، أربع سنوات أخرى، يا أمريكة»، أو ينشد أنشودة أخرى، وكانت هي المفضلة لدينا: «غيّرّ وجهتكَ، غيّرّ وجهتك! Flip-flop, flip flop!» (ربما تتذكرون الخُفّيْن الرّجْراجيْن اللذين يلبسان على الشاطئ، واللذين كان يلوح بهما أعضاء المؤتمر للإشارة إلى مواقف جون كيري المتأرجحة حول العديد من القضايا). كنت أنشد وراءه مباشرة، ثم ينضم إلينا الآخرون أحياناً. أظن أن سائقنا التطوعي، وكان من مؤيدينا المحليين، كان يتساءل فيما إذا كان كارل قد قضى أياماً كثيرة على طرقات السفر، أو أنه كان يحتاج للهرب من أشعة الشمس. لا بد أن الكثيرين من النظّارة كانوا يتساءلون، «هل حقاً هذا هو العبقري السياسي الشهير نفسه؟».

أذكر أنني في انتخابات سنة 2000، كنت أقضي بعض الوقت في مكتب كارل في مركز الحملة الانتخابية. كان عدد من المساعدين الآخرين في مكتبه أيضاً أو بالقرب من مكتبه.

كان كارل يتفحص أجهزة الهاتف، ويتابع الرسائل الإلكترونية، ويتلف الأرقام الواردة من مقاطعات فلوريدا. كانت قد استفزته قبل ذلك الطرق التي أعلنت فيها الشبكات فوز غور في فلوريدا قبل أن تغير تقاريرها. كان كارل يجول في أنحاء المركز الرئيس كلها قائلاً إن الدوائر الانتخابية المحافظة في أطراف فلوريدا ما يزال الناخبون يدلون بأصواتهم فيها، وأن التقارب في أماكن أخرى جعل من توقعات هذه الشبكات سابقة لأوانها. والآن، وبعد أن غيرت هذه الشبكات من مواقفها بدا كارل متشجعاً وأكثر إصراراً كما لو أن إرادته وحسب، كانت هي التي تقلب الموازين لصالحنا بطريقة سحرية.

بعد الساعة الواحدة صباحاً بقليل، كانت فوكس نيوز أول شبكة تعلن عن فوز بوش بولاية فلوريدا، ومن ثم فوزه بالانتخابات العامة. كان ذلك تطوراً مثيراً. لكنني، مثل الآخرين، التزمت جانب الصمت؛ ذلك أنني كنت غير متأكد من ذلك، وكنت أنتظر لأرى فيما إذا كان كارل بنظرته الثاقبة التي لا تخطئ الهدف موافقاً على ما أوردته تلك الشبكة. ولكن بعد دقائق من قضم الأظافر، لحقت الشبكات الأخرى بشبكة فوكس نيوز قالبة بذلك توقعاتها السابقة. لم يكن بالإمكان احتواء فورة الحماس التي أعقبت ذلك. أطلقنا الكثير من صيحات الابتهاج، ورفعنا أذرعنا، وتلاقت أكفنا في الهواء. قاد روف أركان الحملة الذين بقوا معه في مركز الحملة الانتخابية في مسيرة جاب بها شارع الكونغرس في مدينة أوستن على البوابة الرئيسة لمبنى برلمان الولاية. كان من المفترض أن بوش سيطل من هناك، إلا أن النتائج التي وردت متأخرةً أدت بالشبكات إلى تغيير أخبارها من جديد معلنة أن النتائج متقاربة لدرجة أن أحداً لا يستطيع الآن التكهن بها، وأدى هذا بغور إلى إلغاء الاتصال الذي كان يزمع إجراءه للقيام بتهنئة بوش.

من دون شك، يعتبر كارل واحداً من أذكى المواهب السياسية في عصرنا هذا، بفضل طاقته التي لا حدود لها، وبفضل حماسه، ومعرفته العميقة بالتاريخ ورؤيته النفاذة التي يلج فيها إلى عقول الناخبين. إنه مفكر استراتيجي حاد الذكاء، واستراتيجي بارع، وشرس، ومراوغ. كارل يعيش السياسة، ويأكلها، ويتنفسها، ويعشق كل ما تأتي به، خصوصاً روح

المنافسة والمعارك الكلامية. يعتبر السياسة رياضة عنيفة، ويستمتع بالحروب الحزبية؛ وله سمعة بأنه عديم الرحمة عندما يكون مديراً، وربما لا تساوره أي أوهام، كما أن ما كان يثير انتباهي هو أنه ذلك الشخص المستعد، وهو في خضم المعركة، إلى أن يدفع بالأمور إلى أقصى ما هو مسموح به أخلاقياً وقانونياً.

يحب كارل أن يقحم نفسه في كل شيء، فهو يستمتع بصياغة السياسة كما يستمتع بالتخطيط السياسي الاستراتيجي. ينظر إلى الحكم والسياسة على أساس أنهما يرتبطان ببعضهما بعضاً ارتباطاً وثيقاً، وقد تبوأ موقعاً مهماً في قلب كل منهما في البيت الأبيض أثناء حكم بوش.

بعد تسميته مستشاراً للرئيس قبل أسابيع من حفل التنصيب، كلف روف بمسؤولية الإشراف على السياسات والإستراتيجية السياسية، وترأس أربعة مكاتب تهدف إلى تحقيق هدف رئيس واحد: تشكيل مصادر الرأي العام، والسيطرة عليها؛ تماماً كما كان الأمر عليه إبان الحملة الانتخابية، وذلك للمساعدة في تسويق خطط بوش وسياساته. كان لكل واحد من هذه المكاتب أهميته الخاصة، وبما أن تلك المكاتب قد وضعت جميعها تحت إشراف روف، فقد شكلت بمجملها غرفة عمليات هائلة، وفائقة القوة قادت ما يشبه الجهد المبذول في الحملة الانتخابية نفسها وذلك لتقوية موقف الرئيس أمام الرأي العام، والذي كانت تقاس درجة قوته عبر استطلاعات الرأي. كانت هذه المكاتب تقوم غالباً بواجبها على أكمل وجه.

عمل مكتب المبادرات الإستراتيجية بشكل رئيس ككتيبة تخطيط استراتيجي بعيد المدى. لم يكن لهذا المكتب وجود في الإدارات السابقة. ينبئني حدسي بأن هذا المكتب قام ببناء وتأسيس وتفعيل عدد من الفعاليات الموازية التي قامت بها مجموعات من العاملين السابقين في البيت الأبيض في عهود سابقة؛ لكن تأسيس هذا المكتب بشكله الحالي هو نتاج عظيم أبدعه روف نفسه. كان هذا المكتب يستشرف المستقبل لأسابيع وأشهر قادمة، ويخطط لما سيركز الرئيس عليه أمام الرأي العام فيما يتعلق بخططه وسياساته. بالإضافة إلى ذلك، فقد بقي مهتماً وفاعلاً في عمليات البيت الأبيض اليومية

موفـداً عاملين في البيت الأبيض لحضور معظم الاجتماعـات الرئيسة. كان مهتماً بشكل رتيـب أيضاً بإجراء الأبحاث، ومراقبة بيانات استطلاعـات الرأي، وتنسيق الاجتماعات الرئيسة المتعلقة بالشؤون الإستراتيجية، والقيام يومياً بأداء دور حيوي في مساعدة الرئيس على ترتيب أجندته.

قـام مكتب الشـؤون السياسيـة بتنسيق طيف واسع مـن المناسبـات والنشاطات ذات الطابع السياسي، مبقياً على اتصال مباشر مع اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، وكذلك مـع الزعمـاء الجمهوريين، والنشطاء في الولايـات، والجماعات على امتـداد البلاد. كان ذلـك المكتب مسـؤولاً كذلك عن إعداد أوراق تتضمن معلومـات سياسية مفصلة لرحلات بوشـ إلى مختلـف الولايـات والأقاليم المحلية، بمـا في ذلك عرض كامل عـن الولاية التي سيزورهـا، يشمل المناخ السياسي السائد، والسمـات السكانية، والقضايا المهمة، والنتائج الأخيرة للانتخابات، والسوق الإعلامية، ومندوبي الكونغرس، وقادة الولاية، وقادة الحزب الجمهـوري ، وملخصًا عـن الزيارات السابقة لبوش وأعضاء حكومته لهذه الولاية أو تلك. كان ذلك المكتب في حقيقة الأمر يجهز فعلياً رزمة من المعلومات توفر للرئيس عرضاً فورياً للسيـاق السياسي حول أي شيء يريـد أن يقوله أو يفعله خلال الزيارة، وهذا ما يجعل من الأسهل بالنسبة إليه توجيه الرسالة التي ينوي إلقاءها في موقع خاص بشكل مناسب.

عمـل مكتب الارتبـاط العام بشكل لصيـق مع الدوائـر الانتخابيـة الرئيسة، وكذلك بالتعاون مع مجموعات المصالح العامة، بدءاً من المؤسسات التجارية مثل غرفة التجارة، وانتهـاء بمجموعـات مثل مجموعة الحق في الحيـاة، والمنظمات والقـادة الأمريكيين من أصول إفريقية. كان العاملون في هذا المكتب يكلفون بالاتصال مع دوائر انتخابية مختلفة – مجموعـات رجال الأعمـال، والمنظمات الاجتماعية المحافظـة، والقادة الأمريكيين من أصول إسبانية، والعديد من الأفراد والمجموعات الأخرى. ساعد مكتب الارتباط العام في تجييشـ هذه الدوائر الانتخابية بقدر ما اقتضت الحاجة وذلك لتسويق الأولويات المهمة، وترتيب اجتماعاتها مع الرئيس. كان من بعض مهامه أيضاً تحييد بعض المجموعات التي تحـاول أن تثني إحدى المنظمات المؤثـرة عن القيام باعتراض علني على إحدى المبادرات

التـي يمكـن أن تثـير الهلع في نفوسـ أعضائها. مثـال على ذلـك، القيام بإقنـاع إحدى المجموعـات التي تمثل كبار السن بـأن لا تعترض علناً على الحسابات التقاعدية الخاصة أو الشخصية للعمال الشباب أثناء النقاش حول الضمان الاجتماعي الذي تم سنة 2005، بحجة أن الإصلاحات المستقبلية لن تؤثر سلباً على الأشخاص المتقاعدين حالياً.

أما مكتب العلاقات بين الجهات الحكومية فقد ركز على الولايات والمسؤولين المحليين. كان يقـوم بالتنسيـق الكامـل مـع المحافظـين، ومندوبي المقاطعـات، وحـكام الولايات، ومسؤولـين آخرين في الولايات حول السياسة، واللقـاءات الرئاسية في واشنطن، وترتيب الزيارات إلى المناطق المحلية.

كان يرأسـ كل مكتـب مـن المكاتب الآنفـة الذكر طيلـة الفترة التي قضاهـا بوش في منصبـه، شخص مشهود له بالبراعة السياسية الهائلة، وسعة الأفق. وكان يعمل لدى كل مـن هؤلاء طاقم عمل نشِط، وأفراد واعدون ممن يتوقع لهم مستقبل ناجح؛ وهؤلاء كانوا يساعـدون في تطوير مختلف الاستراتيجيات والواجبـات والمبادرات، والعمل على وضعها موضـع التنفيذ. وكان مديـر كل مكتب من هذه المكاتب يقدم تقريـره إلى روف مباشرة، حيث كان يعمل تحت إمرته، وبموجب توجيهاته.

سـاعـد وجود هذه المكاتـب السياسية الأربعة ذات النفوذ والتأثير القويين داخل البيت الأبيضـ - أغلـب هذه المكاتب كان موجوداً قبل رئاسة بوشـ - على تدعيم مكانة الحملة الدائمة في الأفق السياسي الوطني. وتعزز مفهوم «السياسة كحرب» عبر المقاربة الحزبية الحادة لفكرتيِ شن الحملة، والحكم التي مارسها روف وبَشّرَ بها.

كان روف يميـل باتجـاه مقاربة كل شيء بمنظـور وجهة النظـر السياسية، خصوصاً فيمـا يتعلق بالدوائر الانتخابيـة الرئيسة. فقد اكتشف أن الناخبين منقسمون بشكل أكثر حـدة بسبب اعتبارات حزبية أكثر مـن أي وقت مضى في تاريخنا الحديث. وشعر أنه من الضرورة بمكان الإبقاء على قاعدة الحزب المكونة من المحافظين على الصّعُدِ الاقتصادية، والاجتماعية والسياسة الخارجية في حال من الرضا والدعم الكامل للرئيس. يرى روف أن امتلاك قاعدة دعم صلبة قوامها المحافظون، وعدم تحييد المؤمنين بمبادئ الحزب سوف

يوفران للرئيس فرصة التواصل مع المستقلين، وتغيير آراء الناخبين من الديمقراطيين، وذلك بهدف الإبقاء على أغلبية في البلاد بنسبة 50 بالمائة زائد واحد على الأقل.

تتميز إستراتيجية «الخمسين بالمائة زائداً واحداً» التي تهدف إلى الاهتمام بمصالح الأيديولوجيين التطهيريين الذين يركزون بشكل مبالغ فيه على قضية واحدة، أو بمصالح دوائر انتخابية ذات مصالح حزبية ضيقة، عن الإستراتيجية السياسية للأغلبية العريضة المتمثلة في ممارسة الحكم بشكل متوازن من الوسط. على سبيل المثال، أرضى بوش المحافظين الاجتماعيين عبر تبنيه بقوة لفقرة من تعديل دستوري يقضي بمنع زواج المثليين الجنسيين في الوقت الذي كنا نتوجه نحو يوم الانتخابات العامة سنة 2004؛ وفي مناسبة أخرى، عاد بوش بطريقة مثيرة إلى واشنطن في منتصف الليل من مزرعته في كروفورد لتوقيع قانون فيدرالي يحيل بموجبه مسألة تقرير مصير تيري شيافو إلى المحاكم الفيدرالية، وهو بذلك قام بتوريط الحكومة الفيدرالية بقضية جدلية تبتُّ فيها الولايات في العادة. وكان قرار بوش سنة 2001 المتمثل في تقليص دور الحكومة الفيدرالية في البحوث التي تتعلق بالخلايا الجذعية الجنينية، وممارسته لحق النقض «الفيتو» فيما بعد للتشريع الذي يهدف إلى التوسع في مثل هذه البحوث، قد هدّأ من روع المحافظين الاجتماعيين، تماماً كما فعل دعمه للتشريع الذي يهدف إلى فرض حظر جزئي على حالات الإجهاض.

كانت كل خطوة يخطوها باتجاه اليمين تحظى بتغطية واسعة من وسائل الإعلام، وتساهم في خلق رؤية شعبية حول إدارة بوش. وبغض النظر عن المزايا التي تتمتع بها هذه القضايا، فإن قيام بوش بالتركيز عليها أدى إلى تشكيل صورة عن الرئيس الذي يركز على قضايا جامدة أيديولوجياً خيطت لصالح جماعات مثل «مناصري الحياة» ذوي النفوذ القوي داخل دوائر انتخابية ينحصر اهتمامها في قضية واحدة فقط، بدلاً من أن يركز على مواجهة أولويات أكثر إلحاحاً تهم الشريحة العريضة في الوسط (الوسط، ويمين الوسط، ويسار الوسط) مثل الاقتصاد، والرعاية الصحية، والطاقة، والبيئة.

كانت لروف اليد الطولى في وضع هذه القضايا في مقدمة أولويات خطط بوش العامة. تلك كانت صرخة من الأيام الغابرة في الماضي البعيد عندما كان بوش حاكماً لولاية

تكساس، وكان حينها يمارس الحكم بشكل متوازن ممسكاً بالعصا من وسطها، ومتجنباً المبالغة في التأكيد على المسائل الخلافية التي تثيرها قضية واحدة بمفردها، أو دوائر انتخابية محافظة اجتماعياً، أو أي من المسائل التي تؤدي إلى انقسامات تدفع الناس إلى مواجهات فيما بينهم.

تتميز واشنطن عن تكساس بأن بيئتها السياسية مختلفة جداً إبان حكم بوش لهذه الأخيرة. فهناك مطالب أكثر يطرحها الأيديولوجيون التطهيريون الذين يمثلون منظمات القواعد الحزبية، والأمر نفسه بالنسبة لقادة الرأي الذين لهم نفوذ قوي في الدوائر الانتخابية نفسها. كان بوش وروف يعيان هذه الحقيقة جيداً. استطاع بوش أن يمرر بحرية أكبر السياسات الوسطية حول الهجرة والتعليم الحكومي وتغطية نفقات الوصفات الصادرة عن الرعاية الطبية، عبر إرضاء المحافظين الاجتماعيين (بواسطة المبادرات التي تم ذكرها آنفاً)، والموافقة على إجراء تخفيض كبير على نسبة الضرائب (وهو ما أسعد القاعدة الاقتصادية)، واتخاذ موقف متشدد في مقاربته لمسألة الأمن القومي (وهو ما أسعد الصقور).

أدت هذه الإستراتيجية الغاية المرجوة منها في المرحلة الأولى من ولاية بوش، وساعدت في إعادة انتخابه. ولكن العيوب والنقائص بدأت تتكشف مع بداية المرحلة الثانية لحكم بوش، في الوقت الذي بدأت سياسة بوش في العراق تشل إدارته. عندما بدأت الأمور تتهاوى في العراق، تبين لكل من بوش وروف أنه من المستحيل سياسياً بالنسبة له الظهور بمظهر المتراجع عن رؤيته بشأن عراق حر وديمقراطي قيد أنملة. كانا يعلمان أنه لو فعل ذلك، فسيظهر أمام قاعدته ضعيفاً، وستبدأ صورته بالتصدع. تحت مظلة إستراتيجية هذه القاعدة، فإن حلاً وسطاً يحظى بدعم قادة الكونغرس من الحزبين الجمهوري والديمقراطي كان بالأساس خارج نطاق التداول، ولم يحظَ بأي تفكير جدي. كانت مسألة المبالغة في محاباة المحافظين الاجتماعيين، بالإضافة إلى مشكلات بوش، وضعف تأييد الرأي العام له، عوامل زادت من إحساسهما بالإحباط.

أن يكون لدى بوش مُخطط إستراتيجي وسياسي بارع، ومناور عظيم يمسك بتلابيب مصادر الدعم الشعبي مثل روف يعمل في البيت الأبيض لا يشكل بالضرورة مشكلة بحد

ذاتهـا، إلا أنــه يتحول إلى مشكلة عندمـا تسيطر الإستراتيجيـة السياسية على مقدرات الأمـور بشـكل طـاغٍ، ويصبح الحكم مجـرد مطية للحمـلات الانتخابيـة. وعندما يكون المخطط الاستراتيجي بمثل مهارة وشخصية وقدرات كارل روف، فإن من السهولة بمكان، حصول ذلك. كان يحب أن يكون منخرطاً في كل شيء، إن لم أقل مسيطراً على أي شيء، وعلى كل شيء يمكن أن يؤثر في زيادة معدل التأييد لبوش. كان يعمل أحياناً بهدوء، ومن وراء السـتـار. كان يقحم نفسه أحياناً في بعض الاجتماعات. بشكل عام، كانت آراؤه حول معظـم القرارات السياسية والإستراتيجية خصوصاً أثنـاء الحملات لتسويق السياسات بين الجماهير تحظى بثقل واحترام كبيرين.

لم يكـن روف يدعى إلى اجتماعات مجلس الأمن القومـي الحربية بشكل خاص. كان مـن الواضح أن تواجد شخص مثير للجدل مثـل روف في هذه الاجتماعات سيوفر للنقاد مجـالاً رحبـاً للتصيد؛ إلا أن استثنـاءه من الحضور بدا في حد ذاتـه وكأنه يثير علامات استفهام بشأن عدم الإحساس بقلق مماثل حول ما إذا كانت السياسة قد أثرت سلباً على اعتبارات صنع السياسة التي كان روف يُنَظّر لها عبر الدور الذي كان يلعبه.

كانـت شخصيـة روف الطاغية داخـل إدارة بوش، وتأثـيره الملموس علـى السياسة، والإستراتيجيـة، والاتصالات السياسية، والرسالة التـي يبغي إيصالها، تتعاظم من دون حسيـب أو رقيـب خصوصاً بعد أن تركـت كارن هيوز، صاحبة الشخصيـة القوية، وأحد الأعضاء الرئيسين في ترويكا مستشاري بوش منصبها.

كانـت كارن تمثـل العنصر الثاني مـن عناصر التأثير الذي نشـط في بداية عهد هذه الإدارة. كانـت هـي الأخرى مساعدة بوش الموثوقة منذ أمـد طويل في تكساس. كان بوش يستمـع إلى نصائحها وطروحاتها، وكان يأخذ بها عادة. أتذكر حديثاً دار بيننا في الأيام الأولى عندما كنت مسافراً معه من دون كارن. سألني عن رأيي في العمل معها. قال خلال تلـك المحادثة إنّ «كارن غالباً ما تكون على صواب. ليس دائماً، ولكنها على صواب معظم الوقـت». كانت ثقة الرئيس بـكارن، وقربها منه، بالإضافـة إلى شخصيتها الديناميكية، وتفكيرها الاستراتيجي اللماح، وقدرتها على استيعاب آراء القاعدة العريضة من الشعب

الأمريكـي أسبابـاً جعلت منها مثل روف، لاعبـاً أساسياً في كل مظاهـر الحياة في البيت الأبيض، بما في ذلك توجيه سياسته. وبالطبع، كان دورها المتمثل في الإشراف على جهاز الاتصالات الضخم في البيت الأبيض، والذي يلعب في سياسة هذه الأيام دوراً أكثر أهمية في مجال الحملة الدائمة، مهماً جداً في حد ذاته.

تعـود تجربتي الأولى مـع كارن إلى بداية عقـد التسعينات عندما كانـت تشغل منصب المدير التنفيذي للحزب الجمهوري في ولاية تكساس. كانت تبحث عن شخص لشغل منصب المدير المالي للإشراف على جمع التبرعات لصالح المنظمة. وبالرغم من أنني لم أكن مهتماً للعمـل في حـزب الولاية، كما أن خبرتي لم تكن في مجال جمع التبرعات، فقد تشجعت على اقتحام هذا المجال، فتم اقتراح اسمي لها كناشط سياسي واعد. بالنسبة لشاب في الثالثة والعشرين من عمره، كان هذا العرض يمثل فرصة للتأسيس لطريقي المهني.

لم تعرضـ عليّ تلك الوظيفـة، ولم يكن هذا ليحزنني لأن العمـل لصالح حزب الولاية أو أي منظمـة حزبيـة معروفة لم يكـن يشكل هدفاً بحد ذاته بالنسبـة لي. بعد ذلك بمدة وجيـزة، انطلقت صـوب شلالات ويشيتا في تكساس لإدارة حملتـي الخاصة – السباق إلى مجلس شيوخ ولاية تكساس لصالح رجل سوف يصبح فيما بعد صديقاً لي هو توم هيوود.

لم أتعـرف بـكارن حقيقة إلا عندما التقيت بها سنة 1998 مـن أجل الوظيفة الشاغرة التـي كانت تبحث عن من يشغلها في مكتب اتصالات الحاكم بوش. أعجبتني جداً قدراتها العالية كخبيرة اتصالات، كما أحببت فيها النَّفَسَ القيادي وشخصيتها الممتلئة بالحيوية.

أشرفـت كارن على تدريبي في مجـال الاتصالات. وقد كنت أمتلـك أرضية صلبة من الخـبرة في هذا المجال كبداية، كوني نشأت في كنف والدة احتلت دائرة الضوء السياسية المحلية، وكوني أصبحت فيما بعد مديراً لإحدى الحملات وناطقاً باسم حملاتها الناجحة على مستوى الولاية. الدور الأخير الذي قمت به لفت انتباه كارن. فبعد أن استلمت عملي، لاحظـتُ أنهـا تتابع عن كثب مـا كان النـاطقون باسم بوش يقولونـه. وعندما كانت تشعر أن مـا صـرح به هؤلاء النـاطقون كان يمكـن أن يطرح بشكل أقوى، وأكـثـر حذراً، وأفضل تعبـيراً عما يعكس طريقة بوش وأسلوبه، كانت تلفت نظر النـاطقين باسم بوش إلى ذلك.

كانـت تـرى أن وظيفتها تكمن في التأكد مـن أن الناطقين باسم بوشـ يلتزمون بأسلوبها وأسلـوب بوش في مجـال الاتصالات. لقد كانا يمثلان نمطاً واحـداً. شحذتُ مهاراتي في مجال الاتصالات تحت إشرافها.

لكـن قـوة كارن في مجـال الاتصالات كانـت بطريقـة أو بأخرى مصـدر ضعف لها. فبالرغـم مـن أنها كانت محبوبة علـى نطاق واسـع، كان العديد مـن العاملين في مجال الإعـلام يـرون أنها متحمسة أحيانـاً أكثر مما يجب في ولائها لبوش. كانـت أحياناً تبالغ في إظهـار انضباطها كموظفة اتصالات تعمل لديه – فهي جاهزة دائماً لتلقي الرسائل أو إرسالها، وتؤكد دائماً على الإيجابيات، وتقلل من أهمية السلبيات، وتظهر بمظهر الحامي لبوش، ومن النادر أن تتراجع قيد أنملة، هذا إن تراجعت. لكن هذه الطريقة هي بالضبط ما أراده كل من بوش وكارن. ونظراً لأن كارن أتت من الوسط الإعلامي، فقد كانت تعرف أن وسائـل الإعـلام تميل دائماً باتجـاه البحث عن الأضواء، واللغـط، وخصوصاً في تلك البيئـة الوطنيـة الملوءه بروح المنافسـة والجوائز القيّمة. لم تكن راغبـة في إعطائهم أي شيء يمكن أن يفيدوا منه. فمراقبة بث الرسائل كانت تتطلب انضباطاً شديداً من وجهة نظر كل من بوش وكارن. وكان الناطقون الرسميون الذين يصعب سحب المعلومات منهم مثل كارن، يحظون بتقدير عالٍ.

كانت كارن بحكم عملها كمستشارة للرئيس مسؤولة مبدئياً عن أربعة مكاتب، أضيف إليها لاحقاً مكتب خامس (مكتب الاتصالات العالمية). كان مكتب الاتصالات مسؤولاً عن التخطيـط الاستراتيجـي للاتصالات، وكان يضـع في حسابه التخطيـط لأسبوع أو اثنين إلى الأمـام، وكان مسـؤولاً أيضاً عن الإستراتيجية الإجماليـة. كان المكتبَ المركزيَّ الذي يقـوم بتنسيق رسالة بوش التي تغطي البيت الأبيض والإدارة بمجملها. وكان أيضاً المكتبَ المسـؤول عن التحقق مـن أن صورة اليوم تعـزز الرسالة، كما صورة بوشـ التي أردنا أن نرسمهـا. أشير هنا إلى الصـورة الفعلية الفوتوغرافية التي خططنا بعناية كي ينتهي بها المطاف إلى تصدر صحف اليوم الثاني، أو العرض في نشرات الأخبار المسائية – وتتفاوت بـين صورة يصافح فيها بوش الجنود إذا كان الموضوع يتنـاول استعدادات عسكرية وبين

صــورة للمشهد الاحتفالي المرتب بعناية والذي يظهر بوش متحدثاً أمام تمثال الحرية في ذكري الحادي عشر من أيلول، سبتمبر. كان فريق ريغان يتقن فن هذه الصنعة المسرحية بشـكل كامـل، أما الشخص الموكل بهذه المهمة في فريق بوشـ، وهو سكوت سفورزا، الذي كان يشغل منصب نائب مدير الاتصالات، فقد ذهب بهذا الفن إلى آفاق أعلى.

كان مكتـب السكرتـير الصحفي يعمل على مـدار الساعة مركزاً بشـكل أساسي على السلـك الصحفـي في البيت الأبيض، وفي البـلاد كلها؛ وكان يعالـج العلاقات الإعلامية اليوميـة مع أعضاء ذلك السلك، ويـدلي بتصريحات يومية كونه النـاطـق الرئيس باسم البيـت الأبيض. وكان هنـاك تنسيـق كامل مع عاملين آخرين في مجـال الاتصـالات، لكن السكرتـير الصحفـي كان لديه كم كبـير من الاستقـلال الذاتي مكنه مـن إدارة المكتب بالطريقـة التـي رآها مناسبة. عندمـا استلمت منصب السكرتـير الصحفي، كان دوري يتمثل في أن أقدم آراء الرئيس وقراراته وسياساته بأمانة، وأن أتبناها علناً، وأدافع عنها أمام وسائل الإعلام الوطنية.

أما مكتب الشؤون الإعلامية فقد ركز على وسائل الإعلام المحلية على امتداد الولايات المتحدة، وعلى العلاقات مـع وسائل الإعلام اليومية. كان فريق الشؤون الإعلامية يجيب علـى تساؤلات من منافـذ وسائل الإعلام المحلية، ويساعـد في تنسيق هذه المنافذ عندما كان الرئيس يسافر إلى مناطقها المعنية، كما كان مسؤولاً عن تنسيق المقابلات الإعلامية للرئيس مع الصحفيين المحليين.

كان مكتب خطابات الرئيس مسؤولاً عن تحضير عدد لا يحصى من خطابات الرئيس وملاحظاته. ولعبـت عملية كتابة الخطابات دوراً حاسمـاً في توجيه العملية السياسية. كانـت المسـودات الأولى لهـذه الخطابـات تـوزع إلى كل المكاتب ذات الصلـة في البيت الأبيض، بما في ذلك مكتب كبار مستشاري الرئيس، وعدد محدد من مستشاري الرئيس للشـؤون السياسية. كانت للرئيس الكلمة الفصل، ولكن لو أراد أحد المستشارين التأثير في العمليـة السياسيـة، فإن عملية كتابـة الخطابات كانت ستكون واحـدة من الوسائل للقيام بذلك.

بالإضافة إلى قدراتها الكبيرة في مجال الاتصالات، كانت كارن تتمتع بشخصية قوية، واستيعاب حماسي للآراء السياسية التقليدية السائدة عند القاعدة العريضة في أمريكة، بالإضافة إلى تفهمها للمنحى الذي تأخذه الغالبية العريضة في مركز الوسط حول أي قضية. هاتان السمتان أفاد منهما بوش بشكل كبير. فقد كان لكارن حضوراً قوياً فرض نفسه داخل البيت الأبيض. لم تتهيب يوماً طرح أفكارها بمنتهى القوة في الاجتماعات، أو الذهاب مباشرة إلى الرئيس والالتقاء به على انفراد. كانت تعرف جيداً كيف تتواصل مع الأمريكيين العاديين، بحيث إنها ساعدت الرئيس في أن يقوم بشرح سياساته وقراراته، والتأسيس لتناغم صحيح معهم.

قامت كارن بدور لا يقل أهمية عما سبق ذكره: فقد شكلت ثقلاً موازياً لا يستهان به لكارل روف. كانت له مواقف متشددة حول ما يجب القيام به. والأمر كان كذلك بالنسبة لكارن. وبينما كانت أفكار كارل تتركز بشكل رئيس حول القاعدة المحافظة، كان تركيز كارن ينصب على الأمريكيين العاديين الذين يتجهون نحو طيف الوسط السياسي. كانت خلافاتهما حول السياسة أقل مما كانت عليه حول الأسلوب، والرسالة، وصياغة السياسة، والتأكيد على البعد الشعبي. عمل الاثنان معاً بشكل جيد، إلا أنهما لم يترددا في إظهار خلافاتهما حتى أمام الرئيس نفسه. وهذا ما كان متوقعاً من شخصين قويي الإرادة، ومعتدين أيما اعتداد بنفسيهما، ويملكان قدراً لا يستهان به من المعرفة، ويتمتعان بنفس الدرجة من الثقة التي منحها الرئيس لكليهما.

العضو الثالث في ترويكا البيت الأبيض كان آندي كارد، الموظف الحكومي الذي لا يكل ولا يمل، والذي أحضر معه سنوات من الخبرة إلى موقعه رئيساً لأركان البيت الأبيض. بُنِيَ مجال نفوذه على أساسيّن متينيّن: مركزه، وقربه من الرئيس، بالرغم من أنه كان يمهد الطريق للرئيس. كان أقل حباً للسيطرة، وعباراته أكثر لطفاً من كل من كارن وكارل. كان دوره يتركز على القيام بدور الوسيط النزيه بين أركان موظفي البيت الأبيض، والتأكد من أن كل الآراء كانت تحظى بما تستحقه من الإصغاء والانتباه، في الوقت الذي كان يطرح آراءه بشكل خاص على الرئيس عندما كانت هناك حاجة لذلك،

أو عندمــا كان يــرى ذلك مناسباً، وهذا يحــدث عادة عندما تستغــرق العملية السياسية الوقت الكافي كي تأخذ مداها.

استوعب آندي الكيفية التي يعمل بها كل من البيت الأبيض وواشنطن وذلك لأنه سبق لــه أن عمل في خدمة ريغــان ووالد الرئيس الحالي. أدرك أيضــاً الثقة اللا محدودة التي وضعهــا بوش في كل من كارل وكارن، ومــدى التقدير الذي يكنه لآرائهما. عمل آندي على أن تأخــذ العمليــة السياسية مجراها، وأن يشعر موظفو البيــت الأبيض بأنهم ضمن هذه العملية. أدار باقتدار أهم سلعة بالنسبة للرئيس من حيث قيمتها – وقته – وذلك بالتأكد مــن أن النــاس قابلوا الرئيس فقط عندما شعروا أنهــم بحاجة لذلك. وأكثر ما كان لافتاً للنظــر أن آنــدي أدار وأشرف على البيت الأبيض تماماً كما كان بوش يفضل – أي بحزم، وانضبــاط، وتركيز، وتخطيط مبني على التفكير والتركيز. أبقى آندي الإدارة مغلقة على نفسها متى أراد له بوش أن يقوم بذلك بطريقة جعلت المعلومات ترشح لقلة قليلة ومختارة من المسؤولين.

التقيــت بآندي في قافلــة الحملة ســنــة 2000. وكان هذا اللقــاء إذا لم تخنّي الذاكرة قبــل مؤتمر الحزب الجمهــوري الذي طلب إليه الإشراف عليه. بــدا شخصاً ودوداً جداً، ولطيفــاً، وفي ملامحه مسحة مــن كبرياء، لكنني في واقع الأمر لم أتعرف عليه كما يجب، إلا عندما بدأنا العمل معاً في البيت الأبيض.

مــع اقتراب نهاية المرحلة الانتقاليــة، وقبل حفل التنصيب بوقت قليل، جمع آندي كل الموظفــين الذين سيعملون في الجناح الغربي مــن البيت الأبيض. لم يسبق للعديد منهم، مثلي أنا، أن عملوا في البيت الأبيض قبلاً. أصغينا بانتباه بينما كان يتحدث عما يمكن أن نتوقعــه ومــا يتوقعه هو منا. تحدث عن العمل بشرف في ذلك المكان. كما أكد على أهمية العمل معاً بروح الفريق. نحن هنا جميعاً كي نقوم على خدمة الرئيس. تحدث عن أهمية فضيلــة التواضــع، وعن أهميــة أن لا نسمح لوظيفتنــا هذه أن تتســل إلى داخل رؤوسنا، وتــدع الغرور يتملكنا. تحدث أيضاً عن كثافــة حجم العمل هنــاك. وأعلمنا أن مدة العمل في الجناح الغربي لا تتجاوز في العادة مدة سنتين. طلب إلينا «أن نتذكر متى يجب علينا

Obeikandl.com

أن نـترك العمـل». ذكر لنا مثالاً لذلك: جون سنونو رئيـس أركان البيت الأبيض في عهد الرئيـس بوش الأب، والذي أخفق في تذكر موعد تركه للعمـل مما اضطر رئيسه إلى أن يفرض عليه ذلك.

لم يكـن من السهـل تقدير ما كان يقوله آنـذاك، ولكن بعد أن بـدأت العمل في البيت الأبيض، استطعـت استيعاب تنبيهاته بشكل أفضل بكثير. يمكـن للمرء أن يكون مرتاحاً جداً داخل الفقاعة. وعندما يحصل ذلك، يصبح منظور المرء عقيماً، وتستنزف طاقاته. يمكن أن يستهلك المرء ذاته. يحتاج الرئيس إلى التغيير، وإلى منظورات، ورؤى، وطاقات جديـدة في طاقم عمله. ولهذا فإن الاستـدارة إلى الخلف تصبح مهمة؛ وإذا كان توقيتها صحيحاً، تصبح عملية مفيدة جداً.

بالطبـع، لم يكـن روف وهيـوز وكارد الأشخاص الوحيدين مـن ذوي النفوذ في البيت الأبيض في عهد بوش. فقد كان هناك اثنان من المستشارين المشهورين منذ البداية، وهما مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس، ونائب الرئيس ديك تشيني.

رايس التي أشرفت على بوش في قضايا السياسة الخارجية كانت الشخص الذي اعتمد عليه بوش عندما كان الأمر يتعلق بقضايا الأمن القومي التي بدأت أثناء الحملة الرئاسية. ولمـا كان بوش غير ملم كثيراً بالشؤون الخارجية، فقد اعتمد على فريق من العيار الثقيل ممـن لهم باع طويل في مجال السياسة الخارجية لمساعدتـه في صياغة سياسة تعتمد في توجههـا على مبادئـه كالحرية والقوة العسكرية الضاربة وحريـة التجارة. ترأست رايس ذلـك الفريق الـذي سميَّ آنذاك بفريـق الفُلكانيين؛ وضم هذا الفريـق ريتشارد آرميتاج (الصديـق المقرب من كولن بـاول)، وبول وولفويتز، وستيف هادلي (وهما من أتباع ديك تشينـي)، وريتشارد بيرل، وبوب بلاكويل، وبوب زوليك (أحد أتباع جيمس بيكر)، ودوف زاكيـم. كان جورج شولتز غالباً ما يدعى للاستمـاع إلى نصائحه، وعندما أصبح تشيني هـو المرشح لمنصب نائب الرئيس، انضم بـدوره إلى ذلك الفريق. نسب اسم هذا الفريق إلى تمثـال فلكان المهيب، وهو إله النـار والآلات المعدنية عند الرومان، وهو من العلامات المميزة لموطن رايس في مدينة برمنغهام في ولاية ألاباما. طوّرَ بوش علاقة قوية مع رايس، وكان يثـق بأحكامها، وسرعة بديهتها ورؤاها. ومثلما كانت نظرة بوش متطابقة تماماً مع

أسلوب هيوز في أدائها في مجال الاتصالات، كذلك كان الأمر بين بوش ورايس في مجال الشؤون الخارجية.

أراد الرئيس منذ البداية انضمام نائب الرئيس وفريقه إلى عمليات البيت الأبيض. كان تشيني وكبار مستشاريه يشكلون جزءاً لا يتجزأ من فريق العمل. كان بوش يقدر عالياً خبرة تشيني ومعرفته، خصوصاً في مجال الأمن القومي وكان دائماً يطلب مشورته. في الوقت نفسه، كانت لتشيني ومستشاريه بالأساس، عملياتهم الخاصة بهم، كما سأبين فيما بعد في هذا الكتاب.

كانت تربط بوش بتشيني علاقة وثيقة - وبالأساس، خاصة. كان تشيني يفضل تقديم مشورته للرئيس في جلسات مغلقة. كان يدعى مع كبار مستشاريه للمشاركة في جميع الاجتماعات الرئاسية التي يتم فيها عرض للسياسة الخارجية، واجتماعات الرئيس مع قادة الدول، واجتماعات الكونغرس، وما إلى ذلك. بطبيعة الحال، كان لتشيني تأثير كبير في مجال السياسة الخارجية. وكان يبدي اهتماماً خاصاً بمسائل تتعلق بالسياسة الاقتصادية، على الأخص، بمسألتي الضرائب والطاقة. أبدى بوش لتشيني احتراماً كبيراً عندما كلفه القيام بمهمة محددة وهي ترؤس لجنة الطاقة في المرحلة الأولى من حكم هذه الإدارة، كما كلفه بترؤس ما أطلق عليها عملية الكلاب المدربة على صيد الطيور مهمتها إقناع قادة الكونغرس ببرنامج التنصت على المكالمات الهاتفية الذي طُرِح بعد أحداث الحادي عشر من أيلول. كما اعتمد بوش على مقدرة تشيني في صياغة ما كان بوش يعتبرها سياسات ضرورية لها علاقة بالأمن القومي حول مسائل مثل المحتجزين من مقاتلي القاعدة.

لكن الترويكا المكونة من روف، وهيوز، وكارد - وعلى الأخص، روف - هي التي قادت الحملة الدائمة داخل البيت الأبيض متماهية في ذلك مع عقلية المناورة المبنية على الخطط السياسية والاتصالات التي استخدمها سلف بوش، والتي تسببت في نفور الكثير من الأمريكيين. كان ذلك يتم عبر الإعداد لحملات في غاية التنظيم بغية تشكيل مصادر للدعم الشعبي الذي يراد له أن يصب في مصلحة بوش، مثل الدفع باتجاه خفض الضرائب، وإصلاح التعليم، وتسويق الحرب على العراق.

كانت الترويكا وتركيبة البيت الأبيض مطية جيدة لبوش، أقلُّه في بداية رئاسته. وإذ أعلن تشيني في بداية سنة 2001 أن «أيام غرف الحرب والحملة الدائمة قد ولت إلى غير رجعة»، فإن الحقيقة كانت في مكان آخر. فقد تمت إعادة هيكلة الحملة الدائمة، كما تم وضع تعريف جديد لها، وتوسعت بحيث أنها أصبحت ملائمة للبيت الأبيض في عهد بوش. ثبت أن طرائق وأساليب الحملة الدائمة ناجحة جداً عندما استطاع البيت الأبيض في بداية عهد بوش تسويق اثنين من الموضوعات التي تشكل أولوية قصوى للشعب الأمريكي، وتمريرهما عبر الكونغرس. أسهمت النجاحات الأولى التي تحققت في بداية عهد بوش إلى خلق جو من الإحساس بأنها إدارة لا تقهر، وهي بذلك جعلت هذه الإدارة في موقف ضعيف أمام الأخطاء التي ارتكبت، والتي أدت إلى إلحاق أذى كبير برئاسة بوش.

obeikandl.com